باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فتحاً ترقيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنّ العهدة في ما يدرج فيه على المحتجين نفسهم براءة كلية. ولا ندرج ما نخرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمه ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقّان من أصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستغار من المطوّلة

اختلاف الخلق

كثيراً ما يبهت الناظر ويحار الفاكر ان هو سرّح النظر واجال الفكر في اختلاف الاخلاق بين افراد الانسان. فلقد يستحيل ان نرى في من حولنا اثنين يتفقان تمام الاتفاق في حال واحدة من الاخلاق ولو كانا توأمين

وانت تعلم ان التوأمين من ابوين واحدين وقد حملت بهما امهما في برهة واحدة وحواهما بطن واحد نموا فيه وتغذيا منهُ غذاء واحداً وتنفّسا واحدةً. فاذا وضعت الحامل حملها كان التوأمان في حجر واحد يرتضعان لبانًا واحداً فاذا ترعرعا نشأا تحت ملاحظة وتربية اب وام واحدين وقد دبا وقاما في عائلة واحدة فاذا سارا الى المدرسة ربما كانت مدرسةً واحدةً وتحت معلم واحد. حتى اذا ما بلغا اشدهما كان الواحد منهما غير اخيه في اخلاقه ومن ثمّ لم نجد اثنين يتفقان مطلقاً في وحدة حال من الخلق ففكرت في قياس تمثيلي يشير الى ذلك المعنى فاتيح لي ان اقول "كما يختلف الناس خَلقاً يختلفون خُلقاً"

بيد اني اراني في قولي "كما يختلف الناس خَلقاً يختلفون خُلقاً" قد ادخلت على الموضوع شيئاً آخر وهو القول بالاختلاف في الخلقة ايضاً الامر الذي يجب صدم اغفال الكلام عليهِ لتلازمهِ للاول في بنائهِ ومعناهُ بدرجة يكون الكلام معها على الواحد منهما عين الكلام على الآخر من حيث علتهُ ومعلولهُ وعلى ذلك فانّ الناظر والمتأمل مهما حدّق وجال فيما هو حولهُ من الوسط بل في كل انواع البشر وارجع البصر كرتين منذ القديم وفي مستقبل الزمن لم يجد اثنين يتفقان في وحدة حال الخلقة ويتحدان في وحدة حال الاخلاق حتى اذا ما

اندهش رجع بذلك الى تمجيد الباري قائلاً " ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك " عادًّا ذلك من آيات الله كما عدها القرآن في ضمن قولهِ " ومن آياتهِ خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين " ونحن مع احترامنا لكلام الله تعالى والاعتقاد بآياتهِ قائلون نقول

لما كانت النفس تميل بطبعها لمعرفة العلة الطبيعية لهذين الاختلافين المطردين في الخلق والخلق وتستريح للتعليل في كل الشؤون اذ بهِ يسكن جاشها ويقف عن التجب مراسها بلذة ادراك العلة المكيفة لهذا المعلول رأيت ان اذكر العلة على ما عنَّ لي قائلون

ليس يخفى انَّا من ذكر وانثى ومعلوم ان الرجل غير المرأة جسمانيًّا وعقليًّا في الذات والصفات وهذا بديهي لا جدال فيهِ

فلنفرض لاول مرة في الخلق كان الرجل هكذا غير المرأة — كما هو الحقيق — فاذا تزوَّج بها (مثلاً) فاستولدها اتى الوليد مزاجًا حاصلاً من اثنين مختلفين في الذات والصفات فكان ذلك الوليد ثالثًا وحدة كيانهِ في حقيقتها من شقين احدهما من الاب وهو مختلف في ذاتهِ وصفاتهِ والثاني من الام وهي غيرهُ في حالتيهِ هاتين و بتكوّن ذينك الشقين كيانًا واحدًا بحكم المزج صار الوليد ثالثًا في حدّ نسبتهِ فيصبح آخر في ذاتهِ وصفاتهِ " ويوجد في الكيمياء امثلة كثيرة معللة للمعلولات من ذلك لو مزجت جزءًا من جوهر ملح الطعام بجزء من جوهر الزيبق الحلو على نسبة مخصوصة تحوّلا الى ثالث هو السليماني القتّال فلا هو الملح ولا هو الزيبق الحلو جوهرًا وخاصّةً الى غير ذلك من الجواهر الجامدة التي بمزجها تستحيل سائلاً والعكس بالعكس "

فاذا تزوَّج هذا الوليد بابنة حاصلة من مزاجين على نحو ما تقدَّم جاء هذان بثالث لا يكون مساويًا لا ليهِ ولا لامهِ كلاًّ بل ولا لجدّهِ او جدّتهِ بما انهُ مزاج عن اثنين مختلفين بل كلّ واحد من هذين الختلفين كان حاصلاً عن مزاجين احدهما غير الآخر وهكذا الحال تطرد في التعقيب فلا يزال الوليد يتزوَّج باخرى وكلاهما مختلف وحاصل من مختلفين فيحصل عنهما ثالث مختلف فيكون غير من تقدَّمهُ ويلزم على ذلك طبعًا الدور والتسلسل من الاختلاف المطلق فلا يتفق اثنان مطلقًا في الخلق او الخلق ومن ثم اقول

وعلَّة الخلف في خَلْق وفي خُلُق كون الوليد مزاجًا من مشاجين
فكان غيرهما في حدّ نسبتهِ ويلزم الدور طبعًا عن مزاجين

ولا يعترض على هذا التقرير الاَّ امر واحد لكنهُ سطحيّ ظاهرهُ يشبه الاعتراض

وحقيقةٌ عين حقيقة ما قررناهُ ذلك انهُ لقائل ان يقول — بما انك جعلت علّة الخلف في الوليد كونهُ حاصلاً من مزاجين مختلفين وبعبارة اخرى من رجل وامرأة غير متفقين في الذات والصفات فما قولك في التوأمين فانهما يحصلان من اب واحد وام واحدة وقد حملت بهما في برهة واحدة فعلى حكم قولك يجب ان يكون الواحد منهما عين الثاني فلمّ لم يتفقا على الاقلّ في خلقتيهما

اقول ليس بخفي ان البويضات تلقح بالحيوان المنوي وان المبيض تتعلق عليهِ تلك البويضات على مراكز مراكز الواحدة غير الاخرى ومعلوم انهُ اذا اصاب الحيوان المنوي بويضة او اكثر فقد تلقّحت او تلقحن . فهنا يتلاحظ ثلاثة امور على الاقلّ يكفي التكلام عليها للتسليم بحصول الاختلاف

(١) ان الحيوان المنوي الذي يعيب احداهنّ غير الذي يعيب الاخرى في جسمانيتهِ وقوّتهِ

(٢) حجم تلك البويضة الاخرى فانهُ يستحيل ان تكون مساويةً للاولى حجماً ومادةً ومركزاً

(٣) دورة الغذاء ووصولها الى كل منهما فلا بدّ ان احداهما تمتاز بأكثرية عن الاخرى ولو غير محسوسة لكنها ذات تأثير كبير في نتائجها الى غير ذلك من الاسباب التي لا تساوي معها وكثيراً ما يتلاحظ في الخارج على الطفلين التوأمين حال الرضاع ان احدهما يستوفي اكثر من الآخر وقابلية الواحد غير قابلية الثاني الى غير ذلك من الامور المتنوعة وما هذه الاّ متبئة عما كانا عليهِ في الداخل من الحال اقول لهذا جميعهِ لا يأتي التوأمان الواحد عين الآخر مطلقاً . " فتبارك الله احسن الخالقين "

محمد نور
المحامي بتنا

منتخبات من شكسبير

الانسانُ سيّدُ مختبرهِ . وفي معظم الاحوال التي يخيب فيها تكون الملامة على نفسهِ لا على نجمهِ

نعيبُ زماننا والعيبُ فينا

لا تخشَ ذا سمنٍ ولا من ينامُ الليل كلهُ بل خف النحيف اذا غارت عيناهُ فانهُ كثير الافتكار يقتحم المخاطر

لا يبدأ للحسود بال ما زال هناك ارفع منهُ

يؤوّل الانسان الحوادث حسب اميالهِ لا حسب دلالتها

لا يستفرس الذئب اذا لم يرَ الغنم

يضع العظيم نفسهُ اذا استعمل القوة وسدّ اذنيهِ عن توبيخ ضميرهِ

لا خير في من تغلب عواطفهُ على عقلهِ

الانضاع سلّمُ الارتفاع

المبتدىء بالصعود ينظر دائمًا الى فوق ولكنهُ متى وصل الى القمة ينسى الموضع الذي ابتدأ منهُ ويحتقرهُ

بين الإقدام على العمل والفكر بهذا الإقدام مسافة يقضيها العقل ثائرًا

اذا كنت صادقًا فلماذا تحلف

تخمُ الانسان التملق

يموت الجبانُ مرارًا قبل موتهِ واما الشجاع فيموت مرةً واحدة

إنقاصُ سني الحياة انقاصٌ من خوف الموت

لا يذكرُ الناسُ من اعمال الميت الاَّ ما كان شرًّا واما العمل الصالح فيدفن معهُ

فكران الجميل اشدّ وقعًا من سيف القادر

يحمل الحمارُ النضار فلا يربحُ الاَّ العناء

اذا قلت المحبة كثر التكلف

تُرى ايَّة الحالتين افضل ان يحتمل الانسان المصائب بصبرٍ او ان يقاومها بعزم

لا تجبو الفضيلة من لؤم الشاتم

قد يكون الجمال مدعاة الخيانة

المرأة والضعف اسمان لمسمًّى واحد

عين الحب تعمى عن العيوب

يتقدم الانسان بالواسطة والصنيعة اكثر مما بالاستحقاق

سامي جريديني